Received : 18 / 8 / 2024 Accepted: 26 / 8 / 2024 Published : 11 / 1 / 2026

الإخباريات في روايات أسباب النزول في تفسير جامع البيان للطبري (ت310هـ)

نور رياض غازي أ.م.د. بشرى عبد الرزاق العذاري

cdgae57@gmail.com bushraaalathari@gmail.com

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، قسم اللغة العربية

الملخص

حرص المفسرون للقرآن الكريم على تفسير كتاب الله بالوجه الأحسن علمياً ولغوياً، ولذا كان جديراً بنا أن نهتم بكيفية تفسيرهم للآيات الكريمة، من ناحية الأنماط التركيبية التي استعملوها لإيصال الفكرة للمتلقي، وهو ما يُعرف بالأفعال الكلامية، والإخباريات هي أحد أنواع الأفعال الكلامية بحسب تصنيف سيرل ، وهي موضوع بحثنا ، الذي نرجو أن يلتمس القارئ منه الفائدة والمعلومة التي تروي عطش تساؤلاته في هذا الموضوع ، ومن أشهر كتب تفاسير القرآن الكريم هو تفسير جامع البيان للطبري، وقد أخذنا عينة بحثنا منه، وابتدأ البحث بالتعريف بالإخباريات وأنواعها، ثم الشروع بدراستها في الكتاب عينة البحث وبيان أغراض الأفعال الإخبارية وما أدته من مهام ومعان في النصوص ، وأثر التركيب الشكلي في بيان الغرض الإنجازي للفعل الإخباري.

الكلمات المفتاحية: الإخباريات، روايات أسباب النزول

Informative discourse in the narrations of reasons for revelation in the interpretation of Jami' al-Bayan by al-Tabari (d. 310AH)

Nour Riad Ghazi Inst. Bushra Abdul Razzaq Alathari (Ph.D.)

Mustansiriyah University, College of Education , Department of Arabic Language

Abstract

The interpreters of the Noble Qur'an were keen to interpret the Book of God in the best way, scientifically and linguistically, and therefore it was worthy of our attention to how they interpreted the Noble Verses, in terms of the syntactic patterns they used to convey the idea to the recipient, which is known as speech acts, and informational acts are one of the types of speech acts according to Searle's classification. It is the subject of our research, from which we hope that the reader will seek benefit and information that quenches his thirst for questions on this subject. One of the most famous books of interpretations of the Holy Qur'an is the interpretation of Jami' al-Bayan by al-Tabari. We took a sample of our research from it, and the research began by introducing the information and its types, then proceeding to study it in the sample book. Research and explain the purposes of news acts, the tasks and meanings they perform in texts, and the effect of formal structure in explaining the fulfillment purpose of the news act.

Keywords: Reports, Narratives of the Reasons for Revelation

التعريف بالإخباريات

الإخباريات : هو من الافعال التي تصنف العالم الخارجي, وقد تكون صادقة, أو كاذبة, أما اتجاه المطابقة في الإخباريات فيكون من الكلمة إلى العالم الخارجي وتتضمّن معظم أفعال الإيضاح (أوستن) .

أما الغرض الإخباري فيكون نقل المتكلم إلى واقع ما (نحلة، 2002م)، وقد تشمل الإخباريات الأفعال التي تصف الواقع والأحداث في العالم الخارجي، والقوة الإنجازية المباشرة للإخباريات هي الوصف والإخبار والتقرير.

DOI: https://doi.org/10.47831/rg3dhk07

أما القوة غير المباشرة المستلزم مقامياً فهي عديدة كالمدح, والذم, والثناء, والتعظيم, والدعاء, والتمني, والتحليل, والتحريم, والتعريض, والتقريع, والتوبيخ, والترهيب, والترغيب . . . إلخ والتي سنقف عليها فيما بعد .

الإخباريات الواردة في روايات أسباب النزول في تفسير جامع البيان للطبري تنقسم الى ثلاثة أقسام:

- ❖ أفعال القرار
- ❖ أفعال الإيضاح
- ❖ أفعال الإخبار

أولا : أفعال القرار :

1. قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [البقرة: 6]

في رواية ذكرها ابن : قال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحرص على أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى، فأخبره الله جل ثناؤه أنّه لا يؤمنّ إلا منَ سبق له من الله السعادة في الذكر الأول ، ولا يضل آلا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الأول)) (الطبري، صفحة 259/1)

ورد في هذا النص أفعال كلامية إخبارية فيها قوة إنجازية صريحة, وهي إفادة التقرير ، وهي قوله : (أنّه لا يؤمن بالله إلا من سبق له من الله السعادة) ، (لا يضل إلا من سبق له من الله الشقاء) ، والخبر الوارد في نص هذه الرواية قائم على دعامة أساس وهي إفادة المخاطب (الرسول) _ صلى الله عليه وآله وسلم _ بخبر لم يكن على علم به من قبل ، فهو قول تقريري ينفي عنهم صفة الإيمان ، وقد استعان السياق بالتوكيد الوارد في قوله (أنّه) لتقوية إنجازية الفعل الكلامي ؛ لكون الجملة التي تُصّدر بحرف التأكيد أما لمجرد الاهتمام بالخبر وغرابته دُون رد الإنكار والشك؛ لكون الخطاب موجه للنبي _ صلى الله عليه وآله وسلم (عاشور، صفحة ١ / ٢٤٧) فالتوكيد هو غرض تواصلي استعمله المتكلم؛ لتثبيت الفعل التقريري في نفس الرسول_ صلى الله عليه وآله وسلم _ وليزيل به " ضرر غفلة السامع عنه " (الاستراباذي، 1996م، صفحة 1049).

فالغرض الإنجازي للفعل الكلامي الإخباري هو تقرير الأمر وتأكيده وجعله متحققا ثابتا لدى المخاطب فلا يمكن لنفس أن تؤمن إلا بأذن الله _ عز وجل ولا يقع إلا ما قضاه وقدره .

2. قال تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: 80]

في رواية يذكرها المثنى عن عكرمة : قال: ((خاصمت اليهود رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: لن ندخل النار إلا أربعين ليلة ، وسيخلفنا فيها قوم آخرون _ يعنون محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه_ فقال رسول صلى الله عليه وسلم : " بل أنتم فيها خالدون لا يخلفكم إليها أحد)) فأنزل الله تعالى الآية الكريمة (الطبري، صفحة ٢ / ١٧٣)

ورد في هذا النص أفعال كلامية يراد بها الإخبار، أما غرضها الإنجازي فهو التقرير، وفيها نوع من قبيح أقوال اليهود وهو الجزم بأنّ الله سبحانه وتعالى لا يعذبهم إلا أياما قلائل، فقولهم: (لن ندخل النار إلا أربعين ليلة) يدل على" اعتقاد مُقررٍ في نفوسهم يشيعونه بين الناس" (عاشور، صفحة 579/1) . فاليهود قرروا أنّهم لا يدخلون النار إلّا إياماً معدودة تُعادل أيام عبادة العجل, أو أياماً عن كلّ ألفِ سنةٍ من العالم يوماً وإنّ ذلك عذابٌ مكتوب عليهم جميعًا فهم لا يتوقعون الإقدام على المعاصي لأجل ذلك فالعطف على أخبارهم حصلت به فائدة الإخبار عن عقيدتهم وضلالِهم (عاشور، صفحة 579/1). فهم قالوا باعتقادهم الباطل (نمكث يسيراً ثم تخلفونا) وهذا ادعاء منهم؛ لأنّه من باب الأماني التي ليس عليها دليل، لهذا ردّ عليهم النبي–صلى الله عليه وآله وسلم –(بل أنتم فيها خالدون لا يخلفكم فيها أحد) وتأكيدا لقول النبي –صلى الله عليه وآله وسلم –نزلت الآية الكريمة ؛ لما فيها من تأكيد لقول النبي _ صلى الله عليه وآله وسلم _ ونفي دعوة اليهود.

3. قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [البقرة: 142]

عن ابن عباس : ((لما صرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة ... أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعة بن قيس ، وقردم بن عمرو ... فقالوا : يا محمد ، ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم إنك على ملة إبراهيم ودينه ، ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك . وإنما يريدون فتنه عن دينه)) فأنزل الله تعالى الآية الكريمة (الطبري، صفحة ٢ / ٦١٩)

DOI: https://doi.org/10.47831/rg3dhk07

تضّمن نص هذه الرواية مجموعة من الأفعال الكلامية الإخبارية، والتي حملت قوة إنجازية تقريرية ؛ جاءت بصورة الخبر الصادق الذي ينقل الحدث العظيم في تاريخ الإسلام والذي كان له أثر كبير في تأصيل الشخصية الإسلامية فقوله : (وإنما يريدون فتنه عن دينه) أفاد الإخبار والتقرير؛ فاليهود اتخذوا من هذه الواقعة _ تحول اتجاه القبلة _ فرصة للفتنة والتشكيك .

وقد استعان السياق بوسائل لغوية متعددة لتقوية إنجازية الفعل الكلامي : كالاستفهام الوارد في قوله : (ما ولّاك عن قبلتك) وهو استفهام إنكاري ؛ يوضح الاستنكار الصادر عن اليهود، وطعنهم في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، وقد حمل الاستفهام قوتان إنجازيتان :قوة إنجازية حرفية، نستدل عليه بقرائن عديدة منها: أداة الاستفهام (ما) والفعل (ولاك) ، أما القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا المتضمنة في القول فهي الإنكار والتوبيخ، ونلحظ في هذا الفعل الكلامي (الاستفهام) الاختلاف بين القوتين الإنجازية الحرفية والمستلزمة والاختلاف يكمن في كون" الأفعال الإنجازية المباشرة... هي التي تُطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فيكون معنى ما ينطقه مطابق مطابقة تامة وحرفية لما يريد أن يقول وهو يتمثل في معاني الكلمات التي تتكون منها الجملة، وقواعد التأليف التي تنتظم بها الكلمات في الجملة، أمّا الأفعال غير المباشرة فهي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم" (ابتسام، ٢٠١٣م ، صفحة ٣٤٦):إذ انتقل المعنى في قوله : (ما ولّاك عن قبلتك) من القوة الإنجازية الحرفية إلى التعبير عن مشاعر الاستنكار والاعتراض على حكم الله تعالى ومعنى ذلك: حصل " نقل إنجازي (تداولي) نتج عنه أولاً الانتقال من قوة الأصل السؤال إلى القوة الفرعية وهي الإنكار (المتوكل، 1993م), وردّ الله تعالى على استنكارهم :، بقوله : ﴿ **قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾

اتجاه المطابقة في هذه الرواية هو من القول إلى العالم ، أما غرضها الإنجازي فهو التقرير وادراج مسؤولية المتكلم عن صحة ما تلفظ به ؛ بحيث يكون الخبر مطابقا للواقع الخارجي.

4. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةًۚ ﴾ [النساء: 77]

((عن ابن عباس : أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابا له أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله كنا في عز ونحن مشركون ، فلما آمنا صرنا أذلة ، فقال: " أني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا" فلما حوله الله إلى المدينة أُمِروا بالقتال فكفوا)) (الطبري، صفحة ٤/ ٤٣١) فأنزل الله عز وجل الآية الكريمة.

تنتمي أفعال هذه الرواية إلى الأفعال الكلامية الأدائية ، والتي تستعمل في الخطاب اللغوي الهادف إلى الإخبار عن مفاهيم محددة ، أو توضيح مقاصد الخطاب (تعديل القوة الإنجازية (ضمن التداوليات)، 2005م) ، وقد تنّوعت الأفعال في هذه الرواية ما بين ماضٍ ومضارعٍ ؛ وساهم هذا التنوع في ربط أحداث الرواية ببعضها البعض الآخر .

ابتدأ نص هذه الرواية بسلسلة من الأفعال الكلامية الإخبارية الوصفية كقول عبد الرحمن بن عوف وأصحابه للنبي _ صلى الله عليه وآله وسلم: (يا رسول الله كنا في عز ونحن مشركون...) والنص يوضح لنا شدة حماسهم للقتال حين كانوا في مكة يلقون الأذى والاضطهاد _ ليؤذن لهم في قتال المشركين حين لم يكن مأذونا لهم _ بعد في قتال ، للحكمة التي يعلمها الله (الطبري، صفحة 231\7) أما الفعل التأثيري الذي نتج عن قولهم فتمثل في قول الرسول _ صلى الله عليه وآله وسلم _ لهم : " أني أُمرتُ بالعفو فلا تقاتلوا " ، فأثبت الرسول وأخبر بهذا الفعل الكلامي التأثيري المنع عن القتال وأقره بمؤكدات خطابية قررت هذه الحقيقة في العالم الخارجي؛ بحيث لا يمكن أن يردها أو ينكرها أحد منهم ؛ لكونهم كانوا مأمورين بالصلاة والزكاة والعفو عن المشركين، فقول الرسول _ صلى الله عليه وآله وسلم_ هو ما يطلق عليه ب (الفعل القضوي الإنجازي)؛ إذ ورد بالصيغة التركيبية.

5. قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء: 153]

((... جاء أناس من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: إن موسى جاء بالألواح من عند الله، فأتنا بالألواح من عند الله نصدقك)) فأنزل الله عز وجل الآية الكريمة (الطبري، صفحة 7\ 639)

تنضوي هذه الرواية تحت صنف الإخباريات، والذي يعد من شروطه استحضار المتكلم لشواهد تبين صدق ما راه ؛ فجاء نص هذه الرواية حافلا بالأفعال التي جعلتها تنبض بالحيوية، وتم بواسطتها تحقيق الهدف التواصلي الكلي .

DOI: https://doi.org/10.47831/rg3dhk07

فدل قولهم : (فاتنا بالألواح من عند الله نصدقك) على فعل كلامي مباشر يراد به الإخبار، وقد دلّ على مقصدتيه من خلال مطابقة بنيته الحرفية المباشرة لبنيته المتضمنة في القول (الدلالية) ونستدل على ذلك بقرائن سياقية كفعل الأمر (فأتنا) ، فاليهود سألوا رسول الله _ صلى الله عليه وآله وسلم _ أن ينزل عليهم كتابا من السماء يشهد له بالصدق ، ويثبت صدق نبوته فسألوه " معجزة مثل معجزة موسى بأن ينزل عليه مثل ما أنزلت الألواح فيها الكلمات العشر على موسى " (الطبري، صفحة ٧ / ٦٣٩) فالسياق المقامي لنص الرواية قصد من خلاله إنجاز فعل كلامي غير مباشر، نستدلّ عليه بوساطة مقصد المتكلم وسياق الحال ، فضلاً عن قرائن الأحوال ؛ فمقصد المتكلم (اليهود) هو التعنت؛ إذ إن "معجزات الرسول كانت قد تقدمت ، وحصلت ، فكان طلب الزيادة من التعنيت" (الرازي ، ١٩٩٨م ، صفحة ١١/ ٩٦)

اتجاه المطابقة في نص هذه الرواية هو من الكلمات إلى الواقع، أمّا الغرض الإنجازي فهو الإخبار، أمّا غرضها الإنجازي المتضمن في القول والمتضمن إدراج مسؤولية المتكلم عن صحة ما يتلفظ به(صحراوي، صفحة ٨٢) إذ تضّمن الإخبار عن جهل اليهود؛ بسبب مطالبهم غير المقنعة ، كطلبهم نزول القرآن جملة ، مثلما جاء موسى بالألواح.

وقد تعاقبت الأفعال الكلامية التقريرية للمساعدة على ربط الأحداث وتسلسلها تسلسلًا منطقيًا، لتحقيق غرض تواصلي وهو فهم النص فهمًا واضحًا ودقيقًا .

6. قال تعالى:﴿ لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٣]

في رواية عن ابن عباس ((لما أسلم عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سعية ، ... قالت أحبار يهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد وأتبعه إلا أشرارنا ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم. وذهبوا إلى غيره فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك من قولهم : {ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة} إلى قوله: { وأولئك من الصالحين})) (الطبري، صفحة ٥ / ٦٩١)

ورد في النص فعل كلامي إخباري (ما آمن بمحمد وأتبعه إلا أشرارنا ولو كانوا من خيارنا مت تركوا دين آبائهم) فهذا هو القسم الإخباري والذي يؤكّد فيه المتكلم _ اليهود _ ويقررون بأنّ الذين آمنوا بدين محمد _ صلى الله عليه وآله وسلم _ أنهم ما آمنوا به ولا اتبعوا إلا لكونهم أشرارا ولو كانوا من الأخيار لما تركوا دين آبائهم؛ وهم بذلك انتجوا فعلاً " تواصليًا أو

فعلًا كلاميًا في إطار موقف كلامي ملموس ومحدد "(عبد الكريم، سحالية ، ٢٠٠٩م ، صفحة ٤) أما الفعل التأثيري أو " الأثر ورد الفعل الذي يصدر من المتلقي أو السامع " (دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، 1992م، صفحة ٢٥) . فتمّثل في ردّ الله عزّ وجلّ عليهم بقوله : { ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون كتاب الله إناء الليل وهم يسجدون } ، فأخبر الله _ عز وجل _ بأنّهم يتلون كتاب الله في ساعات الليل ويقبلون على مناجاة الله تبارك وتعالى في صلواتهم ؛ لذلك وصفهم الله تعالى بقوله: { أمة قائمة} أي : يقومون الليل.

اتجاه المطابقة في هذه الرواية من الكلمات إلى الواقع ، ولكن لا تحتمل الصدق والكذب ؛ لكونها جمل " ذوات نمط خاص لا يمكن أن يجري عليها هذا المعيار " (دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، 1992م، صفحة 22)

٦.قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦١]

في رواية : ذكرها ابن حميد عن ابن إسحاق: (({ وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون }. أي : وما كان لنبي أن يكتم الناس ما بعثه الله به إليهم ، عن رهبة من الناس ولا رغبة، ومن يغلل ذلك يأت به يوم القيامة)) (الطبري، صفحة 6/ ١٩٧)

تضمّن نص هذه الرواية عبارات إخبارية تمثّلت بقول ابن إسحاق: (ما كان لنبي أن يكتم الناس ما بعثه الله به إليهم ، عن رهبة من الناس ولا رغبة) ، إذ تضمّنت هذه العبارة أفعالًا كلاميةً منجزة؛ فهي تخبر عن وقائع في العالم الخارجي، ويمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب .

وقد نفى الله تعالى عن نبيه الكريم _ صلى الله عليه وآله وسلم _ صفة الإغلال ، فأخبر بأنّه لا ينبغي و لا يليق بنبي أن يغل ، لأنّ الغلول أعظم من الذنوب و أشر العيوب و قد صان الله تعالى أنبياءه عن كل ما يدنسهم و يقدح فيهم وجعلهم أفضل العالمين خلقا(السعدي ، ٢٠١٠ م ، صفحة ١٥٥) أما الفعل الإنجازي في نص هذه الرواية والذي يعد الجوهر في نظرية الفعل الكلامي

DOI: https://doi.org/10.47831/rg3dhk07

لدرجة أنهت أصبحت تسمى بالنظرية الإنجازية أو نظرية الأفعال الإنجازية . فتمثل في قوله: (ومن يغلل ذلك يأت به يوم القيامة) فقد وعد سبحانه أن من يفعل ذلك منكم يأتي يوم القيامة حاملا لما أخذه ، أي : " يأت به حامله على ظهره ، حيوانا كان, أو متاعا, أو غير ذلك, ليعذب به يوم القيامة " (السعدي ، ٢٠١٠م ، صفحة ١٥٥) وهذا تهديد ووعيد مؤكد لأنّ الغلو من كبائر الذنوب.

وهذا التنوع في الفعل الكلامي يدلّ دلالة واضحة على تأكيد نظرية الفعل الكلامي بأنّ لكلّ فعلٍ كلاميّ ابعادًا تداوليةً، والدليل على هو كون الفعل الكلامي الوارد في نص هذه الرواية لم يتضمن الإخبار فحسب بل تضمن كذلك معنى متضمّن في القول مستلزمًا مقاميًا وهو النفي والتهديد.

ثانيا : أفعال الإيضاح:

1.قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [البقرة: 76]

عن ابن حميد قال: ((حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة، أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) أي بصاحبهم رسول الله، ولكنه إليكم خاصة، وإذا خلا بعضهم إلى بعض، قالوا لا تحدثوا العرب بهذا فإنكم كنتم تستفتحون به عليهم، فكان منهم)) (الطبري ، صفحة ٢ / ١٤٦)

جاءت في هذه الرواية أفعال كلامية دالة على الإخبار، وهي قولهم : (لا تحدثوا العرب بهذا فإنكم كنتم تستفتحون به عليهم فكان منهم) والهيئة الخارجية لهذا الأفعال دلّت على أنّ المحتوى القضوي الإخباري خالف الفعل الإنجازي المشحون بدلالة النهي والتوبيخ، فتخبر الرواية عن أنّ بعض اليهود بأنّهم ضموا إلى أثم التحريف إثم النفاق، ويستمر السياق في كشف اليهود ونفاقهم، مستخدماً مجموعة من الأفعال الضمنية كالعتاب والتوبيخ، فلا يعني قوة التزام المتكلم هنا الإخبار أو الإيضاح بقدر ما يعني التوبيخ لما تضمّنه المحتوى القضوي من صفاتهم الذميمة ؛ إذ كانوا يتظاهرون بالإيمان عند لقائهم بالمسلمين، ولكن إذا خلا بعضهم إلى بعض انكروا ذلك الإيمان، فهم يلومون اليهود الذين يخبرون المسلمين عما يوجد في التوراة من أسرار بل ينهون عن ذلك بقولهم:(لا تحدثوا العرب بهذا فإنكم كنتم تستفتحون به عليهم) ؛ كي لا يتخذوا ذلك حجة عليكم عند ربكم (عاشور، صفحة ١ / ٥٧٩)

وبذلك فإنّ الفعل الكلامي ببنائه الإخباري ذي التشكيل الفعلي (لا الناهية + الفعل) حمل بمقصدتيه غير المباشرة دلالة التوبيخ فلا يمكن " أن يكون المعنى الحرفي هو معنى الخطاب الوحيد ، وهذا أحد دواعي توسع الدراسات التداولية وكيفية التعبير عنه بالفعل اللغوي غير المباشرة " (صوينت، 2009م، صفحة 104) فالمواقف الكلامية ودواعي الاستعمال ومقاصد المتكلمين تتحكم في تحديد القوة الإنجازية للفعل الكلامي.

2. قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [البقرة: 109]

في رواية ذكرها ابن حميد قال : عن ابن عباس قال: ((كان حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود العرب حسداً إذ خصهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم وكان جاهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا فأنزل الله فيهما : { ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم })) (الطبري، صفحة 2\419)

تميز نص هذه الرواية باتباع استراتيجية خاصة ؛ وهي التعريف بسياق الحدث الكلامي، فابتدأت بذكر الشخصيات التي دار حولها الحدث الكلامي وهي : (حيي بن أخطب ، وأبو ياسر بن أخطب) , وقد ذكر في هذه الرواية جانب من كيدهم ؛ إذ كانوا أشد اليهود حسدا للمسلمين، وكانوا يبذلون جهدًا كبيراً في ردّ الناس عن الإسلام. وقد تضمّن نص الرواية عبارات إخبارية تمثّلت بقوله : (كان حيي بن أخطب... من أشد يهود العرب حسدا... وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا)، إذ جاءت هذه الأفعال في صورة الخبر الصادق الذي يصف اليهود من حيث تمني الكثير من أهل الكتاب أن يرجعوكم بعد الإيمان كفاراً بسبب الحقد الذي ملأ قلوبهم.

فالمعنى الصريح للعبارات الإخبارية والمتكون من محتواها القضوي وقوتها الإنجازية هو إيضاح جانب من كيد اليهود، أما القوة الإنجازية والمؤشر لها ب (حسدا) فتضمّنت تثبيت المؤمنين وإعلامهم بأنّ اليهود يعتقدون بصحّة الدين الإسلامي.

DOI: https://doi.org/10.47831/rg3dhk07

كذلك تحقّق في هذه الرواية الفائدة القصوية والتي تُلزِم المتكلم عند تكلّمه مع محاورهِ في موضوع ما أن يُقدّم له المعلومات جميعها والتي تكون ذات صلة بالموضوع ومفيدة له (العزيزي، ٢٠١٧م ، صفحة ٢٩٦) وبذلك يكون الفعل الكلامي قد استوفى شروط التحقق الناجح للفعل، كالفائدة الإخبارية والفائدة القصوية، فضلًا عن قاعدة الجدّية التي تُلزم المتكلم بإلزام الصراحة والجدية ، وقد أكد ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ** ﴾

3. قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ [البقرة: 204]

في رواية نزلت الآية الكريمة في ((الأخنس بن شريف الثقفي، وهو حليف لبني زهرة وأقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة فأظهر له الإسلام ، فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منه ، وقال: إنما جئتُ أريد الإسلام ، والله يعلم أني صادقُ وذلك قوله: ﴿ **وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ** ﴾ ثم خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر فأخرق الزرع ، وعقر الخمر فأنزل الله تعالى ﴿ **وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ** ﴾ (الطبري، صفحة 3 \ 572)

وردت الأفعال الإخبارية في نص هذه الرواية بأساليب وتراكيب مختلفة؛ فقد تنوعّت ما بين التراكيب الأسمية والفعلية كقوله: (نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي _ أظهر له الإسلام _ إنما جئت أريد الإسلام والله يعلم أني صادق _ مر بزرع لقوم من المسلمين وحمر فأحرق الزرع وعقر الخمر)، وهذه الوسائل اللغوية والعناصر التواصلية التبليغية كان هدفها إيصال المعلومات وتوضيحها للمخاطب.

وقد حمل نص الرواية الإخبار عن الاخنس، والذي حمل صفات المنافق ، وكان حليف لبني زهرة، وقال آخرون: " بل عنى بذلك جميع المنافقين "(طنطاوي، ١٩٩٣م، صفحة٤٤٠) ؛ والحمل على العموم أعم فائدة، وفيها ذمّ المنافقين وزجرهم للكف عن هذه الطريقة المنبوذة، فهي وإن نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي؛ ولكن العبرة في عموم اللفظ كما يقول المفسرون لا بخصوص السبب ولذلك حملت الرواية على كل من شملهم الوصف .

وقد وضحت الفاظ هذه الرواية أفعال هذا المنافق عند خروجه من عند رسول الله _ صلى الله عليه وآله وسلم _ إذ قام بحرق وإتلاف زروع الناس وقتل ماشيتهم ، فإذا " خرج المنافق من عند النبي صلى الله عليه وسلم غضبان، قَدُمَ على فعل ما حرم الله تعالى (الطبري، صفحة ٣/ ٥٨١) ؛ لذلك وجب على المؤمنين الحذر من هذا النوع من الناس الذي " يثير الإعجاب بحسن بيانه ويضللهم بحلاوة لسانه ويحلف بالإيمان المغلظة أنّه لا يقول إلّا الصدق ويجادل عمّا يقوله بالباطل بقوة وعنف ومغالاةٍ فهو بعيد عن طباع المؤمنين " (طنطاوي، 1993م، صفحة 1/ 442) فالله عز وجل أوجد " الناس ليصلحوا في الارض لا ليفسدوا فيها" (طنطاوي، 1993م، صفحة ١ / ٤٤٢)

الغرض الإنجازي في هذه الرواية هو وصف وإيضاح ظاهرة ما _ واقعة الأخنس بن شريق الثقفي _ واتجاه المطابقة على وفق تصنيف سيرل كانت من الكلمات إلى العالم، كذلك تحقق في هذه الرواية شرط الإخلاص والمتمثل في النقل الأمين للرواية والتعبير الصادق عنها ؛ فلا يهدف الفعل الكلامي الإنجازي هنا إلا الوصف والإيضاح .

4. قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: 59]

حدثنا ابن حميد عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ**﴾ فاسمع ﴿**كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ**﴾ . فإن قالوا: خلق عيسى من غير ذكر. فقد خلقت آدم من تراب بتلك القدرة، من غير أنثى ولا ذكر، فكان كما كان عيسى لحما ودما وشعرا وبشرا، فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا))(الطبري، صفحة ٥ / ٤٦٢)

جاء نص هذه الرواية بصيغة خبرية دالّة على فعل كلاميّ مباشر وهو قوله: (خلقت آدم من تراب بتلك القدرة ، من غير أنثى ولا ذكر) ، وقد حمل هذا الفعل الكلامي قوة إنجازية حرفية وصريحة وهي الإيضاح، والمعنى: أنّ صفة عيسى (عليه السلام) كصفة آدم (عليه السلام) من حيث الخلق ؛ فعيسى (عليه السلام) خلق من غير أب ، وخلق آدم (عليه السلام) بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكر(كثير،١٩٩٠م ، صفحة ١/ ٣٥٠) وقد تحقق في هذا الفعل الكلامي القوة التأثيرية (الفعل التأثيري) والمتمثل في تأثير ألفاظ هذه الرواية في المخاطَب (اليهود) الذين حاجوا النبي _ صلى الله عليه وآله وسلم _ في عيسى (عليه السلام) ، فدلّ الفعل الكلامي في هذه الرواية على مقصديته من خلال قوة إنجازية حرفية؛ إذ تطابقت البنية اللغوية السطحية لهذا الفعل الكلامي مع بنيته العميقة (الدلالية) ؛ الدالة على الإيضاح .

DOI: https://doi.org/10.47831/rg3dhk07

اتجاه المطابقة في هذه الرواية هو من الكلمات إلى العالم، أما غرضها الإنجازي فهو الإيضاح، كذلك تحقق في نص هذه الرواية شرط الإخلاص المتمثل في نقل الواقع نقلا أمينا ، كذلك حقّق الفعل الكلامي الوارد هنا وظيفة حجاجية لإبطال دعوة اليهود ، وإثبات أنّ الأنبياء هم رسل الله تعالى(كثير،١٩٩٠م ، صفحة ١/ ٣٥٠) فعندما أراد الله _ عز وجل _ إن ينفي حجة اليهود فأتى بمجموعة من الحجج ، وقد اعتمد في نص هذه الرواية على الحجاج بالمغالطة بمعنى: " أن المتكلم والمخاطب اثناء العملية التواصلية يستندان إلى المعلومات التي تحصل لديهما ليستدل كل منهما على صدق دعواه وفق المبادئ الخطابية (العزيزي، 2007م، صفحة ١٤٦)وقد بيّن الله _ عز وجل _ حجة لا تدحض وهي قوله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾

5. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173]

في رواية : ((أنطلق الرسول صلى الله عليه وسلم وعصابة من أصحابه بعدما انصرف أبو سفيان وأصحابه من أحد خلفهم حتى كانوا بذي الحليفة، فجعل الأعراب والناس يأتون عليهم فيقولون لهم: هذا أبو سفيان مائل عليكم بالناس، فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)) فنزلت الآية الكريمة (الطبري، صفحة 6/ 249 250).

جاء نص هذه الرواية بصيغة خبرية دالة على أفعال كلامية مباشرة مكونة من جملتين: (هذا أبو سفيان مائل عليكم بالناس) ، (فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل) ، وقد أدى العنصر الإشاري (هذا) دورا في تحديد الفعل الكلامي؛ إذ جاء للتنبيه فقد " ذكر قبل المسند إليه مذكور وعقب بأوصاف" (الحباشة ،٢٠١٢م ، صفحة ١١٥) وهي قوله : (أبو سفيان مائل عليكم بالناس) ، فقد قيل أنّ أبا سفيان لما عزم على أن ينصرف من المدينة إلى مكة نادى يا محمد موعدنا موسم بدر الصغرى (الرازي، ١٩٩٨م ، صفحة ١/ ١٠١) فكان ردَّهم على كلام التخويف والترهيب هو قولهم: (حسبنا الله ونعمل الوكيل) فهو كافٍ عبادَه والمُفَوض إليه تدبيرُ أمورِهم ، وقد تجلّى في ردّهم الفعل الإنجازي التأثيري.

وفضلاً عن القوة الإنجازية الحرفية للفعل الكلامي التي أفادت الإخبار والإيضاح، أنجز نصُّ الرواية فعلًا كلاميًّا متضمنًا في القول مستلزمًا مقاميًا وهو الوصف والثناء؛ إذ زاد المؤمنين التخويف يقيناً و تصديقاً بوعد الله تعالى ، فمدحهم الله _ عز وجل _ على " ثباتهم و شجاعتهم و حُسن اعتمادهم على خالقهم "(طنطاوي،١٩٩٣م ، صفحة ٢/ ٣٤٠) تبارك و تعالى. فالأثر الذي أحدثه الفعل الكلامي في السامع (دلاش، 1992م) هو قولهم: (حسبنا الله ونعم الوكيل) وهو ردهم على كلام التخويف والترهيب؛ فالله عز وجل هو الكافي عباده والمفوض إليه تدبير أمورهم ف" قولهم : { حسبنا الله ونعم الوكيل} كلمة لعلهم ألهموها أو تلقاها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي كاف " (عاشور، صفحة 4\ 170).

6. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ٦٥]

في رواية ذكرها قتادة أنّ ((قوله : { يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم} . يقول: لم تحاجون في إبراهيم وتزعمون أنه كان يهوديا أو نصرانيا، {وما نزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده} – فكانت اليهودية بعد التوراة ، وكانت النصرانية بعد الإنجيل– { أفلا تعقلون})) (الطبري، صفحة ٦ / ٤٩٠)

جاء في النص فعل كلاميّ تمثّل بالإخبار، وهو قول الأحبار: (ما كان إبراهيم إلا يهوديا ، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيا) ؛ فهذا الفعل الكلامي ينتمي إلى أفعال الإيضاح، والذي يبين أنّ العبارات المتلفّظ بها ترتبط بفعل التقرير، والمتمثل في كون والتقرير في مسألة أنّ إبراهيم الخليل (عليه السلام) ما كان يهودياً ولا نصرانياً حسب ادعاءاتهم وأقوالهم بل كان حنيفاً مسلماً فهو كان: مائلاً عن العقائد الزائفة سالكً طريق الاستقامة فهو كان مسلماً ومستسلماً لله تعالى وما كان من المشركين (طنطاوي،١٩٩٣م، صفحة ٢/ ٤٩٠) .

ليخلص الفعل الكلامي في النهاية إلى النتيجة الإخبارية والتي توضح بأنّ اليهودية إنما حدثت بعد نزول التوراة والانجيل وبين إبراهيم وموسى ألف سنة وبين إبراهيم وعيسى ألفان، فكيف يكون إبراهيم عليه السلام على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمنة متطاولة (الزمخشري، ١٩٩٨م ، صفحة ١/ ٥٦٧) فالفعل الكلامي الوارد في نص هذه الرواية هو ملفوظ تقريريّ تكمن قوته الإنجازية الحرفية في الإخبار والإيضاح والتقرير، فالله _ عز وجل _ أنكر هذا الادعاء بقوله: { يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أُنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده أفلا تعقلون} ، فالمعروف عن اليهود أنهم أصحاب أقوال كاذبة وأباطيل وادّعات ما أنزل الله بها من سلطان.

DOI: https://doi.org/10.47831/rg3dhk07

ثالثا : الإخبار:

1. قال تعالى: ﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: 97]

في رواية ذكرها القاسم قال: ((حدثنا الحسين قال: حدثني حجاج عن ابن جريج قال: حدثني القاسم بن أبي بزّة: أن اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم من صاحبه الذي ينزل عليه بالوحي فقال: (جبريل) قالوا: فإنه عدوا، ولا يأتي إلا بالحرب والشدة والقتال. فنزل: (**قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ**)) (الطبري، صفحة ٢/ ٢٨٦).

إنّ الخبر الوارد في نص هذه الرواية جاء بصيغة الاستفهام (أن اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم من صاحبه الذي ينزل عليه بالوحي) فعندها أما أن نتبعك, أو نفارقك، فأجابهم الرسول _ صلى الله عليه وآله وسلم_ بأنّ وليه هو جبريل (عليه السلام) ، فكان جوابهم بأنّه عدو لهم فأنزل الله تعالى الآية الكريمة.

فالمحتوى القضوي لهذه الرواية هو بيان السبب في عداوة اليهود لجبريل (عليه السلام) لزعمهم بأنّه لا يأتي إلّا بالحرب والشّدة والقتال ، وكذلك لكونه حسب زعمهم يخبر النبي _ صلى الله عليه وآله وسلم _ بأسرار اليهود ويأمره بقتالهم .

وقد جسّدت الأفعال الكلامية في نص هذه الرواية الحوارات الشخصيّة بين الرسول _ صلى الله عليه وآله وسلم _ وبين اليهود، وكانت وسيلة فاعلة في تقديم الصورة التفصيليّة لليهود .

كذلك تضمّن النصّ أفعالًا كلاميةً متضمنة في القول مستلزمة مقاميا وهي الوعيد لليهود الذين اعتذروا عن الإيمان ، كذلك دلّت على" تعظيم لجبريل والتنويه بقدره حيث جعله الواسطة بينه تعالى وبين أشرف خلقه ، والمنزل للكتاب الجامع للأوصاف المذكورة ، ودلت على ذم اليهود حيث أبغضوا من كان بهذه المنزلة العظيمة الرفيعة عند الله " (الألوسي، 1978م، صفحة ١ / ٣٣٣). تجاه المطابقة من الكلمات إلى الواقع، فقد مثّلت هذه الرواية " الحالة كما يعتقدها المتكلم " (يول ، ٢٠١٠م، صفحة٨٩) غرضها الإنجازي فهو الإخبار والذم والتعظيم.

2. قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ [البقرة: ١١٣]

في رواية ((لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتهم أخبار اليهود فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رافع بن حريملة ما أنتم على شيء وكفر بعيسى بن مريم وبالإنجيل. فقال رجل من أهل نجران من النصارى: ما أنتم على شيء وجحد نبوة موسى و كفر بالتوراة ، فأنزل الله في ذلك من قولهما : **﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ ﴾** إلى قوله: **﴿ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾** (الطبرى , الصفحه 435/2)

تصنف هذه الرواية ضمن الاخباريات أو التقريرات بحسب تعبير جون سيرل، فهي من الأفعال التي تنقل أو تصف الواقع وصفاً أمنياً " فإذا تحققت الامانة في النقل أو الوصف فقد أنجزت الافعال إنجازاً تاماً وناجحاً" (نحلة، 2002م).

تضمّن نص الخبر في هذه الرواية (فقال رافع بن حريملة: ما أنتم على شيء وكفر بعيسى بن مريم وبالإنجيل) ، (فقال رجل من أهل نجران: ما أنتم على شيء وجحد نبوة موسى، و كفر بالتوراة) مجموعة من الأفعال الكلاميّة المتضمنة في القول كالذم والتوبيخ . . فقد خرج الخبر هنا عن مقتضى الظاهر لأغراض بلاغية أخرى تفهم من خلال السياق وقرائن الأحوال (عتيق، 2009م، صفحة 62).

فالفعل الكلامي في هذه الرواية يدلّ على قوة إنجازية مباشرة وهي الإخبار عن قدوم أهل نجران من النصارى واليهود على الرسول_ صلى الله عليه وآله وسلم_ وتنازعهم عنده حتى ارتفعت أصواتهم، وكلّ فرقه تضل الفرقة الاخرى.

أما الأفعال الكلامية المستلزمة حوارياً المتضمّنة في القول فقد جاءت في صورة معاني مجازية تابعة للمعنى الأصلي كالتوبيخ والتعجب ؛ فقول كل فرقة (ما أنتم على شيء) يقتضي " أن كلاً من الطائفتين صدّقت فيما رمت به الطائفة الأخرى " (كثير، ١٩٩٠م ، ١/ ١٨٦) فكلا منهم يتلو في كتابه تصديقً ما كفر به بالرغم من معرفتهم أنّ قولهم ذلك يخالف ما هو موجود في كتبهم فهذا توبيخ لهم على فعلهم؛ فالتوبيخ " لابد أن يكون المتلقي قد قام بفعل ما قبل زمان تكلم المتكلم "(الصراف ، ٢٠١٠م ، ١٦٤) ومن المعاني الضمنية الواردة هنا التعجب ووجه التعجب" أنّ التوراة هي أصل للنصرانية والإنجيل ناطقٌ بحقيقتها فكيف يصوغ

DOI: https://doi.org/10.47831/rg3dhk07

للنصارى ادعاء أنّها ليست بشيء، كما فعلت نصارى نجران، والتوراة ناطقة بمجيء رسل بعد موسى، فكيف صاغ لليهود تكذيب رسول النصارى" (عاشور، صفحة 1/ 677). اتجاه المطابقة من القول إلى العالم، أما غرضها الإنجازي فهو الإخبار والتوبيخ والتعجب.

3. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: 118]

في رواية ذكرها ابن عباس: ((قال رافع بن حريملة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن كنت رسولاً من عند الله كما تقول، فقل لله فليكلمنا حتى نسمع كلامه. فأنزل الله في ذلك من قوله : **﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ ﴾** الآية كلها)) (الطبري، صفحة ٢ / ٤٧٤).

دلّت الرواية بصيغتها على فعل كلامي مباشر وهو الإخبار، والخطاب فيها موجه إلى النبي محمد _ صلى الله عليه وآله وسلم _ ، فقد قال الجهلة من أهل الكتاب ومنهم رافع بن حريملة: (إن كنت رسولا من عند الله كما تقول، فقل لله فليكلمنا حتى نسمع كلامه) , وفضلًا عن القوة الإنجازية الحرفية الواصفة والمقررة أنجزت الرواية أفعالا كلامية متضمنة في القول مستلزمة مقامياً وهي: العناد والاستكبار والتشكيك في نبوة الرسول_ صلى الله عليه وآله وسلم _ ، ومثل هذا" القوم المتعنت قال الجاحدون من أسلافهم الذين أرسل إليهم الرسل ليخرجوهم من الظلمات" (طنطاوي، 1993م، صفحة 1/ 258) . وقد شابه قولهم: (فليكلمنا حتى نسمع كلامه) أهل الكتاب واليهود فقد اقترحوا مثل هذا الأقوال على نبيهم موسى (عليه السلام) فهم " وإن اختلفت مذاهبهم في كذبهم على الله و افترائهم عليه، فقلوبهم متشابهة في الكفر بربهم والفرية عليه " (طنطاوي، 1993م، صفحة 2\478) والفعل الكلامي (فليكلمنا حتى نسمع كلامه) قد تحول إلى فعل كلامي " ذات امتداد اجتماعي، وتعتبر في الوقت نفسه حملا للمخاطب على القيام بفعل معين " (بالخير، 2013م، صفحة 189)

وقد استخدم السياق عناصر لغوية ساهمت في تعديل القوة الإنجازية أسلوب الشرط الوارد في قوله: (إن كنت رسولا ...) ، وقد جاءت جملة جواب الشرط (فليكلمنا) إنشائية.

4. قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٩ ﴾ [البقرة: 89]

في رواية عن عمر بن قتادة الأنصاري : ((عن أشياخ منهم قالوا : فينا والله وفيهم _ يعني: في الأنصار واليهود الذين كانوا جيرانهم _ نزلت هذه القصة ... قالوا : كنا ثد علوناهم دهرا في الجاهلية ، ونحن أهل شرك ، وهم أهل كتاب ، فكانوا يقولون : إن نبيا الآن مبعثه قد اظل زمانه ، يقتلكم قتل عاد وإرم ، فلما بعث الله تعالى ذكره رسوله من قريش واتبعناه كفروا به)) (الطبري، صفحة ٢ / ٢٣٧).

جاءت الرواية بصيغة خبرية ، والفعل الكلامي الكلي يدور حول معنى متضمن في القول وهو الذم والتوبيخ والتعجب، فقوله : (قالوا : فينا والله وفيهم _ يعني في الأنصار، وفي اليهود الذين كانوا جيرانهم _ نزلت هذه القصة) فالإخبار كان عن موقف النصارى واليهود وإعراضهم وكفرهم بالقرآن الكريم والنبي صلى الله عليه وآله وسلم, كذلك تضمّن الفعل الكلامي الكلي (الإخبار) مجموعة من الأفعال الضمنية المستلزمة مقاميا كالذم والتوبيخ والتعجب وقد جاءت لتقوية وخدمة الفعل الكلامي الكلي (الإخبار) .

وقد جاء فعل التعجب في قولهم: (إن نبيا الآن مبعثه قد اظل زمانه ، يقتلكم قتل عاد وإرم) ، فالتعجب من اليهود الذين جاءهم كتاب مصدق لما معهم من الكتب، فكانوا يستنصرون الله بالنبي على مشركي العرب قبل البعثة، فلما بعثه الله تعالى وكان من قريش كفروا به .

أما التوبيخ فقد ورد برده فعلهم (فلما بعث الله تعالى ذكره رسوله من قريش واتبعناه كفروا به) ، فقد ذُموا لإعراضهم وكفرهم بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم حسداً من عند أنفسهم، فالبيان الواضح أنّهم تعمّدوا الكفر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد قيام الحجة بنبوته عليهم قطع الله عذرهم بأنّه رسوله إليهم .

وقد تعدّلت القوة الإنجازية للفعل الكلامي عن طريق الاستعانة بالقسم ؛ إذ أكد فيه المتكلم للمخاطب الخبر، فجاء غرضه لتعزيز القوة الإنجازية للفعل الكلامي ، فضلًا عن تأكيد الخبر.

DOI: https://doi.org/10.47831/rg3dhk07

5. قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [البقرة: 207]

في رواية تذكر عن ابن عكرمة: ((قال أنزلت في صهيب بن سنان وأبي ذر الغفاري ... أخذ أهل أبا ذر ، فانفلت منهم ، فقدم على النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رجع مهاجرا عرضوا له ،... فأنفلت أيضا حتى قدم على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما صهيب فأخذه أهله فافتدى منهم بماله ، ثم خرج مهاجرا فأدركه قنفذ بن عمير بن جدعان ، فخرج له مما بقي من ماله وخلى سبيله)) (الطبري، صفحة ٣ / ٥٩١).

ورد في هذا النص (نزلت في صهيب بن سنان وأبي ذر الغفاري ، جندب بن السكن ... فخرج له مما بقي في ماله وخلى سبيله)، مجموعة من الأفعال الكلامية التقريرية، حملت قوة إنجازية حرفية (الإخبار) ، أما غرضها المتضمن في القول فيكمن في " إدراج مسؤولية المتكلم عن صحة ما يتلفظ به " (صحراوي، صفحة ٨٢) ،فالإخبار كان عن صهيب بن سنان فقد أراده المشركين أن يترك الإسلام وقتلوا نفراً كان معه، فأخبرهم بأنّه شيخ كبير فإن كان معهم فهو لا ينفعهم وإن كان عليهم لا يضرهم، فطلب منهم أن يتركوه على ما هو عليه، وطلب منهم أن يأخذ أمواله، فقبلوا وأخذوا المال منه ورجع إلى المدينة (الزمخشري، ١٩٩٨م، صفحة ٤٤١/١) .وقد تولد من هذا الفعل الكلامي التقريري (الإخبار) فعل كلامي متضمن في القول مستلزم مقاميا وهو المدح، فقد ذكرت الرواية الصفات الحميدة التي تحلّى بها هؤلاء المؤمنين فقد بذلوا أنفسهم في طاعة الله تعالى, والحفاظ على الفرائض والجهاد في سبيل الله ؛ كي ينالوا مرضاة الله تعالى(طنطاوي، ١٩٩٣م، ١/ ٤٤٥)

اتجاه المطابقة في نص هذه الرواية من الكلمات إلى الواقع، أما غرضها الإنجازي فهو الإخبار والمدح لمن يبيع نفسه طلبا لمرضاة الله سبحانه وتعالى والجهاد في سبيله وإعلاء كلمته.

6. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ [آل عمران: 71 – 73]

في رواية ذكرها قتادة: { يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل} .يقول: لم تلبسون اليهودية والنصرانية بالإسلام، وقد علمتم أن دين الله الذي لا يقبل غيره ، ولا يجزى إلا به "(الطبري، صفحة ٦/ ٥٠٤)

دلت الصيغة الخيرية (تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة ونكفر به عشية حتى نلبس عليهم دينهم) على فعل كلامي مباشر وهو الإخبار عن عبد الله بن الصيف وعدي بن زيد والحارث بن عوف، وهم من اليهود الحاقدين على النبي _صلى الله عليه وآله وسلم _ ومن شدة تغلظهم على الدين الاسلامي وتشويا لصورته وتعاليمه قالوا لبعضهم البعض تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة ونكفر به عشية.

وقد نتج عن قولهم هذا فعل كلاميّ متضمّن في القول مستلزم مقاميًا وهو التوبيخ ؛ لكونهم لبسوا الحق بالباطل، وبما أدخلوا على دينهم من الأكاذيب والخرافات، فهم يسترون الحق بالباطل, أو يخلصونه به ، فضلًا عن كفرهم برسول الله _ صلى الله عليه وآله وسلم _ وكتمانهم نبوته " فوبخهم على لبس الحق بالباطل وعلى كتمان الحق؛ لأنّهم بهذين الأمرين يضلون من انتسب إليهم"(السعدي ، صفحة١٣٤) وهذا الكتمان المتعمد على خلطهم الحق بالباطل وإصرارهم على إنكار النبوة والرسالة مناقضاً لما شهدتم بحقيقته من معجزات ودلالات لسائر الانبياء عليهم السلام(كثير،١٩٩٠م ، صفحة ٣٧٣) . والتوبيخ غير ظاهر في البنية اللغوية، بل دلت عليه قرائن سياقية واستدلالية .

الخاتمة

وفي نهاية البحث توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج وقد جاءت على النحو الآتي:

- حاولت هذه الدراسة الكشف عن الأبعاد التداولية والأفعال الإنجازية في روايات أسباب النزول في تفسير جامع البيان للطبري (ت 310هـ) الذي تضمن أفعالاً إنجازية مباشرة وغير مباشرة، من السياقات اللغوية ومقاصد المتكلمين وعلاقة العلامات بمستعمليها.
- قد يستعين النص بالعناصر غير اللغوية في تعديل القوة الإنجازية لكون التداولية لا تعطي اهتماماً كبيراً بمعنى الجملة، بل تركز اهتمامها على معنى ومقصد المتكلم بتلك الجملة.
- تفاوتت ورود الأفعال الكلامية في روايات أسباب النزول في تفسير الطبري (ت 310هـ) من حيث العدد ؛ فالروايات الواردة في التفسير كثيرة وقد أوردت بعض منها على سبيل المثال لا الحصر.

DOI: https://doi.org/10.47831/rg3dhk07

• وردت في الإخباريات أفعال كلامية غير مباشرة دلت على الإنذار والتخويف والتقرير والتهديد والوعيد والتوبيخ والتعجب والذم والوعد والاستفهام الإنكاري وغيرها من الدلالات.

المراجع

القرآن الكريم

ابن كثير. (1990م). *تفسير القرآن العظيم* (المجلد الأولى). الجزائر: دار الثقافة.

أبو جعفربن جرير الطبري. (بلا تاريخ). *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. دار هجر للنشر وللتوزيع والإعلان.

أحمد المتوكل. (1993م). *آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي* (المجلد الأولى). دار الهلال العربية.

تعديل القوة الإنجازية (ضمن التداوليات). (2005م).

الألوسي. (1978م). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني*. بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.

الرازي. (1998م). *التفسير الكبير* (المجلد الأولى). دار الفكر للطباعة والنشر.

الزمخشري. (1998م). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل* (المجلد الأولى). مكتبة العبيكان.

الجيلالي دلاش. (1992م). *مدخل إلى اللسانيات التداولية* (المجلد الأولى). ديوان المطبوعات الجامعية.

جورج يول. (2010م). *التداولية* (المجلد الأولى). بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.

جون أوستن. (بلا تاريخ). *نظرية أفعال الكلام العامة _كيف ننجز الاشياء بالكلمات* (المجلد الثانية). افريقيا الشرق، المغرب: الدار البيضاء.

رضي الدين الاستراباذي. (1996م). *شرح الكافية* (المجلد الثانية). بنغاري، تونس: منشورات جامعة قار.

صابر الحباشة. (2011م). *مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية*. صفحات النشر والتوزيع.

عبد العزيز إبراهيم العزيزي. (2007م). *معالم التداولية في كتاب النظرات للمنفلوطي* (المجلد الأولى). الإسكندرية: مؤسسة حورس الدولية.

عبد العزيز عتيق. (2009م). *في البلاغة العربية علم المعاني* (المجلد الأولى). لبنان: دار النهضة العربية.

عمر بالخير. (2013م). *مقالات في التداولية والخطاب* (المجلد الأولى). دار لأمل.

محمد الطاهر بن عاشور. (بلا تاريخ). *التحرير والتنوير*. الدار التونسية للنشر.

محمد سيد طنطاوي. (1993م). التفسير الوسيط. دار المعارف.

محمود أحمد نحلة. (2002م). *آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر*. مصر: دار المعرفة الجامعية.

محمود حجي الصراف. (2010م). *الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة (دراسة دلالية ومعجم سياقي)* (المجلد الأولى). القاهرة: مكتبة الآداب.

محيي الدين محمد الحسين بن محمود البغوي. (1409هـ). *معالم التنزيل*. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.

مسعود صحراوي. (بلا تاريخ). *التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي* . بيروت: دار الطليعة.

مؤيدآل صوينت. (2009م). الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي.

ابتسام بن خراف ، أفعال الكلام في قصة كليم الرحمن موسى عليه السلام، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر بناتة ، الجزائر ، ٢٠١٣ .

DOI: https://doi.org/10.47831/rg3dhk07

References

The Holy Quran

Abdulaziz Atiq. (2009). *In Arabic Rhetoric: The Science of Meanings* (Vol. 1). Lebanon: Dar Al-Nahda Al-Arabiya.

Abdulaziz Ibrahim Al-Azizi. (2007). *Pragmatic Features in Al-Manfaluti's "Al-Nazarat"* (Vol. 1). Alexandria: Horus International Foundation.

Abu Jaafar Ibn Jarir Al-Tabari. (n.d.). *Jami' Al-Bayan Fi Ta'wil Ay Al-Quran*. Dar Hajr for Publishing and Distribution.

Adjustment of Illocutionary Force (Within Pragmatics). (2005).

Ahmed Al-Mutawakkil. (1993). *New Horizons in Functional Syntax Theory* (Vol. 1). Dar Al-Hilal Al-Arabiya.

Al-Alusi. (1978). *Ruh Al-Ma'ani Fi Tafsir Al-Quran Al-Adheem Wa Al-Sab' Al-Mathani*. Beirut, Lebanon: Dar Ihyaa Al-Turath Al-Arabi.

Al-Jilali Delash. (1992). *Introduction to Pragmatics Linguistics* (Vol. 1). Diwan of University Publications.

Al-Razi. (1998). *Al-Tafsir Al-Kabir* (Vol. 1). Dar Al-Fikr for Printing and Publishing.

Al-Zamakhshari. (1998). *Al-Kashaf 'An Haqa'iq Ghawamid Al-Tanzil Wa Uyoon Al-Aqawil Fi Wujooh Al-Ta'wil* (Vol. 1). Maktabat Al-Obeikan.

George Yule. (2010). *Pragmatics* (Vol. 1). Beirut: Arab Science Publishers.

Ibn Kathir. (1990). *Tafsir Al-Quran Al-Adheem* (Vol. 1). Algiers: Dar Al-Thaqafa.

Ibtisam Bin Khiraf. (2013). *Speech Acts in the Story of Prophet Moses, Peace Be Upon Him*. Faculty of Arts and Languages, University of Hadj Lakhder, Batna, Algeria.

John Austin. (n.d.). *General Theory of Speech Acts: How to Do Things with Words* (Vol. 2). Casablanca, Morocco: Africa East.

Mahmoud Ahmed Nahla. (2002). *New Horizons in Contemporary Linguistic Research*. Egypt: Dar Al-Ma'rifa Al-Jami'iya.

Mahmoud Haji Al-Sarraff. (2010). *Illocutionary Acts in Modern Arabic (A Semantic and Contextual Lexical Study)* (Vol. 1). Cairo: Al-Adab Library.

Massoud Sahrawi. (n.d.). *Pragmatics Among Arab Scholars: A Pragmatic Study of the Phenomenon of Speech Acts in Arab Linguistic Heritage*. Beirut: Dar Al-Tali'a.

Moayed Al-Swainat. (2009). *The Quranic Discourse: A Study in Pragmatic Dimensions*.

Muhammad Al-Tahir Ibn Ashur. (n.d.). *Al-Tahrir Wa Al-Tanwir*. Tunisian Publishing House.

Muhammad Sayed Tantawi. (1993). *Al-Tafsir Al-Wasat*. Dar Al-Ma'arif.

Muhyi Al-Din Muhammad Al-Hussain Ibn Mahmoud Al-Baghawi. (1409 AH). *Ma'alim Al-Tanzil*. Riyadh: Dar Taybah for Publishing and Distribution.

Omar Bal-Khair. (2013). *Articles on Pragmatics and Discourse* (Vol. 1). Dar Al-Amal.

Radi Al-Din Al-Istarabadi. (1996). *Sharh Al-Kafiya* (Vol. 2). Benghazi, Tunisia: Publications of Qara University.

Saber Al-Habasha. (2011). *The Adventure of Meaning: From Syntax to Pragmatics*. Pages of Publishing and Distribution.

DOI: https://doi.org/10.47831/rg3dhk07